طوفان الأقصى و الإرجاف السلفي

د. نائل بن غازي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ أما بعد/

قضى الله وقدر أن تبقى دعوة الحق والباطل، في جهاد ونزاع، ومدافعة وقراع، لا يُرفع للحق لواء مدافعة، إلا ناوشته قواصف الباطل مكافِحة، لا ترقب في أوليائه إلاً ولا ذمة، عصفاً مدمراً عند كل ملمة، يتعاقب لها كل كفور غدار، ويشاركه الإثم مرجف ختّار، يعمل في الصف المسلم عمل أرضة الخشب، يسعى بخبثه سعي حمالة الحطب، له مع المجاهدين ثأرٌ ميدانه عزة مفقودة، يركب لها خسةً مخازي معهودة، في الصف عينه على المؤمنين وقلبه في حومة الكفر سابح، سلاحه فت في عضد مجاهد أبيٍّ كادح، له مع الإشاعة صولة بل وصولات، وله مع الزندقة جولة بل وجولات، ليس له في المكارم حس، ولا يُسمع له عند اللقاء نبس، إلا صيحات تخذيل للصف المجاهد قبيل اللقاء، وهتافات تعويق وتثبيط رجاء الرضا والبقاء، يغازل به عدواً مجرماً، يسارع بها في الكفر مُغرماً، وأقبح هذي المخازي ما كان بلباس سلفي كذوب، ولسانٍ عليم بالحق لعوب !!

في السابع من أكتوبر المبارك غُزي العدو في ديارنا المغصوبة، ونيل منه ثأراً بغارات الحق المصبوبة، فاهتز لهول ما صنع الأباة، ملة الكفر وجوقة الطغاة، وعلى إثرهم قام شيوخ بلباس السلف ولكنة الإرجاف، يصبون زيتاً على نار الطغاة بسيء الإسفاف؛ ونسبوا كل ضلال مخترع، لمنهج سلفي مصطنع، لم يروا فيه بطولات ابن تيمية وأحمد الإمام، ولا ثبات العز بن عبد السلام، وإنما ترقيع لولي الخمر بتوقيع السلف، فحازوا مع السقوط مرتبة أعلى القرف!!

سلم منهم العدو الصائل، والطاغية الهامل، ولم يسلم منه المجاهد العامل، رموه بفرى الكذب بغية الإرجاف الخصي، وطمعاً بالتعويق والتثبيط والتخذيل الخسي، وساقوا لذلك شبهاً مسمومة، وغلفوها بعمومات مضللة مضمومة، قدمت بقالب نصح ظاهر، وحقيقته إرجاف ونفاق خائر؛ فتناوشوا الحق في مشرحة الإرجاف، وتناولوه إسقاطاً في مقاصل الإنصاف؛ ظاهر حالهم يحذر المجاهد هالة موت حالّة، وحقيقة تقعيداتهم قواعد ضالة، يمنون النفس بإسقاط معهود، على بساط كذب مشهود، شعارهم يقين مهزوز ظاهره الحرص، وحقيقته الوهن والخَرص، حسدٌ مشئوم ظاهره سلامة الأحوال، وحقيقته تمني الزوال؛ تشبثٌ بالوهن ظاهره تأصيلات صائبة، وحقيقته أعذار كاذبة، خورٌ مسيطر ظاهره فهم عميق، وحقيقته إرجافٌ على الحقيق.

لم يستطيعوا مجاراة المجاهدين في إقدامهم، فطاروا يشككون في عقيدتهم وإسلامهم، دعوا إلى النصرة الواجبة وقد لزمت، فتماروا بكذب التأصيلات القلقة وقد عقمت، فلم يحدثوا فكراً معتبراً، ولم يقفوا موقفاً منهم منتظرا، بل كانوا خنجراً مسموماً في خاصرة الجهاد، وصاروا بمنزلتهم الوظيفية فتنة للعباد؛ فمن الذي يمكن أن يراجع شيخاً بثوب السلف يتوشح؟؟، أو يصحح غلطاً بيناً في مصاف الجهل يترنح ؟؟، إرجاف يحمل طابعاً سلفياً لا يقبل جدالاً، أجار به شيخ إرجاف على أصول العلم وأدالَ، ومطلوب السمع والطاعة والإذعان، وكبت التفكير ولو بلغ إرجافه حد الآذان !! فولي الخمر جنة من الزلل، وفهمه المخمور عاصم من الخلل، وما القسام في دين الملك إلا زمرة مارقة، وتلك فتوحات إرجافية وتجليات فارقة، أوحى بها لعالم البلاط شيطان مريد، وزكاها الأمير بسوطٍ جَلِدٍ عنيد، وليس

للناس إلا الانحياز التام، وتجرع الإرجاف السام، وذم طرائق المجاهدين لنيل الشفاعة، والفوز بقربى القرب ورديء البضاعة.

فتعين على المخلصين سلّ حسام التجلية، وتنقية المفاهيم من عوالق الإرجاف فالتخلية، ليستقيم للمسلم عبادة مهمة، يجد بصحيحها مكاناً في الصف عند ملمة، عقيدة الولاء والبراء الكاشفة، وقواعد ميزانها الناسفة.

فجاءت هذه الكلمات مختصرةً معدودة، لتكون شاهداً للحق ومشهودة، ننال بها أجر البيان ونحن في قلب المدافعة، وعلى صخب صوت المدافع والمقارعة، فلا يقال تُكلم في المجاهدين وجهادهم الرضي، فيستطيل للصمت المريب مرجف خصي !

واليوم وقد نزلت في ديار المسلمين نازلة الطوفان الهادر، ومعها الناس فريقان مجاهد ومقامر.

وهذه غزة المعجزة تقاتل بالسيف والسنان، وتنافح عن الحق بالكلمة والبيان، تحمل بيدٍ الحق الهادي، وبالأخرى السيف البتار البادي، فلا يتخلف البيان الواجب، عن غارات الياسين الثاقب، نردع بالأولى مرجفاً مرتاباً، وبالأخرى كافراً كذاباً، ونمضي لدعوتنا أباة في الأرض عظماء، أو مؤدين الأمانة صدقاً تحت الأرض شهداء، وليس ذلك بضارنا وقد قمنا لله كما أراد، ونصرنا الحق من مكر عظيم بها يُراد، فاقرأ كلماتنا على مهل واجعلها منك حلقة في أُذن، فقد جاءت بالدم متوضئة بما سمح الوقت وأَذِن، ولولا هذا الصمت المرعب المخيم، لما انشغلنا بالقوم وخبثهم المتيّم، لكنها غزة ورجالها على الدوام، كبار في الدنيا بين الأنام، عاشوا غرباء كأصحاب الأخدود، يجودون بأنفسهم إن ضن بخيل عن الجود، وقد كان فيما كتبه الرنتيسي الهمام، قولاً صحيحاً كان مسك الختام:

الجود بالمال جود فيه مكرمة

والجود بالنفس أسمى غاية الجود

والحمد لله رب العالمين

وكتبه/ د. نائل بن غازي _غفر الله له ولوالديه_

المبحث الأول
الإرجاف والمصطلحات ذات الصلة

نسلط الضوء في هذا المبحث على بيان معنى الإرجاف لغةً واصطلاحاً، وما يرتبط به من مصطلحات ذات صلة، وذلك وفق العنوانات التالية:

تعريف الإرجاف لغةً واصطلاحاً

الإرجاف لغةً: الاضطراب الشديد، يقال: رجفت الأرض ورجف البحر، وبحر رجاف. قال تعالى: "يوم ترجف الراجفة" [النازعات/ ٦] ، "يوم ترجف الأرض والجبال" (المزمل/ ١٤)، "فأخذتهم الرجفة" (الأعراف/ ٧٨)(١).

الإرجاف اصطلاحاً: الإرجاف: إيقاع الرجفة، إما بالفعل، وإما بالقول(٢)
وعرفه أبو البقاء الكفوي: الإخبار الكاذب.(٣)
وعرفه القرطبي: إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به.(٤)

ملاحظات على التعاريف:

١. الإرجاف هو إشاعة لمعاني الاغتمام في الصف المسلم، وليس حديثاً نفسياً يقتصر على صاحبه أو محيطه القريب.
٢. الإرجاف لا يكون بالقول فقط؛ وإنما به وبالفعل المؤدي لذات الغاية من إحداث الاضطراب الشديد، ووقوعه مادة للفتن وملاقيحها.
٣. الإرجاف يمثل حلقةً من حلقات الكذب والباطل المجافي للحقائق.
٤. لازم الإرجاف قصد الفعل.
٥. المرجفون قوم من المنافقين والذين في قلوبهم مرض، وليسوا من المؤمنين أبداً. (٥)

---

١ المفردات في غريب القرآن للأصفهاني: (٣٤٤)

٢ المرجع السابق نفس الصفحة

٣ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: (٧٩)

٤ الجامع لأحكام القرآن: (٢٤٦/١٤)

٥ انظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: (٣٣٠/٢١)

المصطلحات ذات الصلة

كثيرة هي المصطلحات التي تشترك مع مصطلح الإرجاف من حيث المعنى أو الغاية المقصودة، أو من حيث الأثر المترتب، كالإشاعة والإرهاب والتوهين، ولكنني سأحاول تسليط الضوء على أشهر مصطلحين من المصطلحات الرديفة، لكثرة استعمالها في ذات السياق المطلوب وهي: التخذيل والتعويق.

أولاً/ التخذيل

التخذيل لغةً: حمل الرجل على خذلان صاحبه وتثبيطه عن نصرته (١)

التخذيل اصطلاحاً: العمل على إبعاد الناس عن قتال العدو.(٢)

ملاحظة على التعريف:

١. التخذيل وظيفة الإرجاف، ولهذا اشترك معه في جانب إضعاف الهمم عند اللقاء بالقول أو العمل.
٢. غاية التخذيل هي غاية الإرجاف تماماً وهي: صرف الناس عن الفرض الواجب وهاهنا قتال العدو.
٣. بين التخذيل والإرجاف عموم وخصوص، فكل إرجاف تخذيل، وليس كل تخذيل إرجاف، لأن غاية التخذيل حصوله عند لقاء العدو، وغاية الإرجاف إحداث جنس الاضطراب بين المسلمين.
٤. المعنى العام للتخذيل: ترك النصرة، ومنع الغير منها.

ثانياً/ التعويق

التعويق لغةً: وعاقه عن الشيء يعوقه عوقا: صرفه وحبسه، ومنه التعويق والاعتياق، وذلك إذا أراد أمرا فصرفه عنه صارف (٣)

التعويق اصطلاحاً: منع الناس عن نصرة الرسول _صلى الله عليه وسلم_ وصدهم عنه بالأقوال والأفعال(٤)

ملاحظة على التعريف:

١. لم يأت تعريف للتعويق بالحد، وإنما يفهم من خلال التفسير للفظة القرآن التي وردت مرة واحدة في سورة الأحزاب "قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ" (الأحزاب: ١٨)

٢. التعويق وظيفة الإرجاف، ولهذا قد اشترك معه في غاية الصد عن النصرة بالقول أو العمل.
٣. تخصيص التعويق بالصد عن النبي _صلى الله عليه وسلم_ يحمل دلالة اقتضاء يدخل فيها دعوةٌ على أثره، ورجال على طريقته.

---

١ لسان العرب لابن منظور: (٢٠٢/١١)، وانظر: العين للفراهيدي: (٢٤٤/٤)

٢ معجم لغة الفقهاء للقلعجي: (١٢٥)

٣ لسان العرب: (٢٧٩/١٠)

٤ انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١٠١/١٤)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي: (٣٩٩/٤)

٤. التعويق جاء في الآية يدل عليه القول صراحة، ويدخل الفعل ضمناً دلت عليه أفعال المنافقين في زمن النبي _صلى الله عليه وسلم_.

ملاحظات عامة:

١. الإرجاف والمصطلحات الرديفة كلها تشترك في معنى واحد: الصد عن النصرة الواجبة بالقول أو الفعل.
٢. الإرجاف والمصطلحات الرديفة لا يعرفها المؤمن المجاهد؛ بل هو غرضها ومحط مكرها.
٣. المرجفون وأضرابهم لا يكفون عن إشاعة الفوضى ونشر القلق في السلم والحرب، وهم في الحرب أنشط.
٤. المرجفون وأضرابهم لا يعرفون التحام الصف، ولا لقاء عدو؛ بل هم خدمه في الصف المسلم.
٥. العدو ليس بمستغٍ عن الإرجاف تعاوناًمباشراً أو اتكالاً على خسة طبع غالبة.

المبحث الثاني
طوفان الأقصى والإرجاف السلفي

نسلط الضوء في هذا المبحث على بيان: أن طوفان الأقصى قد جاء ضرورةً شرعيةً، وحاجةً بشريةً، وبيان مواقف شيوخ المؤسسة الرسمية السلفية منه، وحقيقة هذه المواقف السالكة مسالك الإرجاف الخالية من جنس النصرة للمجاهدين، وفق العنوانات التالية:

طوفان الأقصى ضرورةٌ شرعيةٌ، وحاجة بشرية

عاشت الأمة الإسلامية حالةً من الوهن المسيطر، والذي ضرب أغلب مفاصل محاضن التربية فيها، فجاءت أغلب تقريرات كثير من العلماء محدودة التصور، تعالج جزئيات مهمة في الشريعة بلا شك، لكنها وصلت حد الاستغراق، فأنتجت خطاباً مكروراً غير متجدد، ولا يجيب على كثير من التساؤلات التي يحتاجها مريد الحق في زمن الخلط؛ ولا تعالج أخطر القضايا التي تمس أصل اعتقاد المسلمين؛ والتي لا تستطيع غرابيل الطغاة أن تغطيها عن الجيل في زمن انفتاح العالم حتى كأنه قرية صغيرة، كمسائل: تحقيق معنى الولاء والبراء، وحكم مظاهرة ولي الأمر على المسلم المجاهد، وحكم إسلام مقدسات المسلمين لليهود، وحكم التطبيع مع العدو الصهيوني المتغول على دماء المسلمين، وحكم اختراع الديانة الإبراهيمية التي تساوي بين دين الإسلام وغيره من طرائق الملة النصرانية واليهودية والبوذية!.

لم تكن الماكنة العلمية السلفية مهيأة بالقدر الكافي للإجابة على كثير من المسائل التي تصيب العقيدة الإسلامية في مقتل، لا لكونها غير مؤهلة؛ وإنما لإصابتها في مكامن التجرد العلمي والتعبد الصحيح، وذلك لتأثير موروث مقدس منصب على معالجة قضايا رُفعت فوق قدرها المطلوب، وسطوة السلطة الحاكمة التي استمدت أصل مشروعية التسلط منها للأسف.

إن المتابع لألوف المصنفات التي كتبت في أبواب العقيدة والتصور السياسي، والتي حملت توقيع كبار العلماء أو تقريظهم، سيجد أغلبها يحمل في الاعتقاد محددات مكررة: شرك القبور، وأحكام الدعاء والاستغاثة، والتحذير من البدع، **والتشديد على مسائل الرافضة والخوارج، وكلها خادمة للمنظومة الحاكمة، ومدافعة عنها.**

وأما في التصور السياسي للمجتمع المسلم، فجاءت التقريرات تكاد تكون متطابقةً حد متابعة نفس الحواشي ونفس الطبعات: التحذير من الخروج على الحاكم، ووجوب القتال تحت رايته وبإذنه، وإحاطة كل حراك جهاديّ دفعيٍّ بكثير من الملاحظات؛ فضلاً عن رفض بعضهم له بالجملة والتفصيل، وغابت التقريرات تماماً عن كثير من النوازل العقدية والسياسية المهمة في المجتمع المسلم.

ليس معنى هذا أن بعض الكتابات لم تحضر، ولكنها بالجملة جاءت حييةً لا تؤدي الغرض، تحمل عبارات مجملة غير واضحة تحتاج لتفسير بعيد عن سطوة سوط التوجيه القسري، أو من جهات وأفراد ليسوا بذلك التأثير الذي يمكن أن يصدر موقفاً متبعاً في الجيل، أو أفراد نالوا حظاً من التشويه المنهجي

المسبق لتصوير تقريراتهم "السلفية المنهجية الصحيحة" أنها تمثل طيفاً سياسياً يجب محاربته والتحذير منه، فحُكم عليها بالإعدام المعنوي!!.

ولهذا فإن التقريرات السلفية _في العقد الأخير_ وتأخر علمائها طوعاً لانشغالهم بالنسج على ذات التقريرات التي تمثل موروث السلف _بتصورهم_ يرثونها ميراث الأمانة، أو خشية السلطان وسوطه، أو لموازنات ليست صحيحةً رفعت الوهم المتوقع على ظني التحقيق، تمثل جزءًا فاعلاً مسهماً في حالة الفوضى العلمية المنتشرة، وأساساً في تغييب وعي الجيل؛ بل لن تكون مُباعداً إن قلت: هي جزء من تسهيل مساحة فتنتهم في الدين، لقلق ما يحدثونه بين النظر الفطري، وتقعيدات لا تناسب، حتى غدت مشكلتهم الأساس ليس مع النص وتكييفه الفقهي، وإنما مع الفطرة الصحيحة التي تؤيدها النصوص، والتقعيدات المضطربة على قواعد اللصوص!!

الحاكم المعظّم الذي تُقدس اختياراتُه، ويُمنع حتى من مجرد تناولها بالنقد العلمي تصويباً وتصحيحاً أو رداً من حيث الأصل مليحاً، يقف في صف الأعداء من غير التباس، ومكنة التنظير السلفي في ظهره تصنع له علمي الأساس، ومطلوب من الجيل أن يرفض داعي الفطرة فيه والذي تحفه الشواهد واليقينيات، لداعي التقرير الذي يحمل قدسية سلفية ومن خلفه قامات علمية في الأمة الضائعة.

يقاتل الفلسطيني في معركة أمة يراد طمس معالم هويتها الإسلامية، وتغييب وعي جيلها، وسلخ معالم الدين فيها، فينتصر له مساندة مكلفةً مشهودةً " الروافض " ويغيب الحضور السني بشكل مريع.
فتُجيّر المكنة السلفية العلمية للتحريض من خطر الروافض، وبيان معتقدهم، والتحذير منهم في وقت ذبح السني المسلم بسكين صهيوني، وتأييد طاغوتي، ويراد للجيل المتابع أن يصادم الفطرة الداعية لقبول أي نصرة ولو كانت من شيوعي، والإذعان لتقريرات يراد لها أن تكون سلفيةً تحمل قدسيةً لا تحتمل مراجعة؛ فكانوا أكبر معين لتمرد على منهج ربانيٍّ لم يقيموه مقام العالم الرباني صاحب الميثاق المشهود.

قدّم الصهيوني الحاكم الفعلي لإمارات ملوك الطوائف في بلادنا خارطة طريق تعيد تشكيل الشرق الأوسط الجديد، لم يخفِ فيها مطامعه في بناء إسرائيل العظمى الممتدة من النيل إلى الفرات، والمسيطرة على مقدرات الأمة المسلمة، ولاشك أنّ هذا الصلف الواضح، لم يكن ليحصل لولا واقع أمة الإسلام الفاضح.

ولما كان الجهاد في سبيل الله هو وسيلة الشرع في رد العدوان، ومنع الفتنة اليقينية الحالة على المسلمين في الدين، فقد تعينت فريضته على المسلمين عامةً، فهي معركة الأمة لا معركة قطر فيها، أو طائفة مجاهدة، فلم يستجب لها مستجيب، ولم يستنفر لها قائم لله بحق.
فانتصرت له طائفة الجهاد في البلد الطيب "غزة" لتمثل أول أسوار تحصين الأمة من الغزو المركب عليها، فخاضت معركة "**طوفان الأقصى**" وأرادت قلب موازين المنطقة لتمثل حالة استنهاض للجيل،

وتنبيه الغافل لحقيقة المكر الكبير، فكانت انطلاقته: ضرورة شرعية لدفع مفاسد يقينية، وحاجة بشرية للتخلص من أغلال العبودية.

انتفضت الحشود البشرية المسلمة وغير المسلمة _وإن اختلفت بواعث حراكها_ مساندةً بما تستطيع من خلال استثمار المساحات الممنوحة، وغاب عن المشهد _الذي يمثل أمّ النوازل في عصرنا_ التقرير السلفي العلمائي المساند؛ بل على العكس تماماً جاءت تقريراته داعمةً للرواية الرسمية المتهمة، ومشككةً في نيات المجاهدين، ومتهمةً لسبيلهم المستبين!!

أحدث الطوفان درجةً من اليقظة المفيدة في مراحله، ولكنه لم يستطع كسر الحدود المضروبة على المنظومة المفاهمية للمكنة السلفية؛ فهي بمجموعها أسيرة لقواعد نظر لا تسمح بالاجتهاد خارج أطرها التي تمثل علامةً على طريقة عظّمت أصولاً قدمت كأنها المسلمات التي توزن الأفعال والأقوال والاجتهادات لمقتضاها !!

فانطلقت في الآفاق الرحبة تأصيلات ضيقة بكلمات حق أريد بها الباطل، واتخذت ستاراً لتغطية قبيح سوءات القعود في زمن واجب القيام والنصرة؛ بل طالب كثيرهم المجاهد _الذي يخوض معركة الأمة على ثغور العقيدة_ بالاستسلام وقبول معلوف الكفر لتغذية سحت الضلال في الجسد المريض.

في أوج المعركة الأشد، والتغول الواضح على أرواح الفئة المؤمنة المجاهدة في غزة، ركزت الماكنة السلفية على تأصيل الخلاف مع "الرافضة" وبيان خطرهم، والتحذير من مغبة التفكير في التحالف معهم؛ رغم كونهم الوحيدين الذين أعلنوا صريح المساندة لجبهة غزة، وخاضت لأجلها معارك مفتوحة !!

لتأتي كل عباراتهم _التي تساق على أساس من الفهم السلفي للواقع_ مرجفةً من حيث المآل، ضعيفةً تجافي الواقع في الحال، لها مشكلة مع الجانب الفطري في التصور قبل الجانب الشرعي المتجرد للدليل الصحيح، وأحدثوا خلطاً متعمداً، خُلط فيه مقصود الخلط، بقواعد حق لا تناسب المحل.

عند التحقيق: ليست صورة المسألة هنا: ما حكم التحالف مع الرافضة؟ لتستجلب الماكنة السلفية كل دليل ولو بعيد لبيان حرمته، والقطع بمنكره!؛ وإنما صورة المسألة على الحقيقة: ما يقول السادة الأعلام في قومٍ من الفضاء الأزرق قدموا على خيول برتقالية بأجنحة، لا يؤمنون بدين، وقد رفعوا لواء النصرة للمسلمين السنيين؟؟

فهل يفرح المسلم لنصرتهم، ويشكر لهم جميل صنيعهم، ويبارك في زحفهم ومددهم؟؟

وهل للمسلم أن يحزن لمصابهم، وضعفهم، وانكسارهم؟؟

تلك هي ملامح الصورة الشرعية التي تحاول الماكنة السلفية رفض حتى مجرد اقتراح التأمل فيها؛ رغم كونها هي محل تحرير النزاع عند التحقيق، وبه تقطع كل تخرصات وغاية الاتهامات للمستمسكين بالهدي المبين، ومعهم الدليل المكين.

ففي الحديث عن أم سلمة _رضي الله عنها_ وهي تصف أحوال الصحابة مع النجاشي وبطارقته الذين لا يؤمنون بدين التوحيد، وليسوا مسلمين، وينسبون لله ما يكاد لهوله السموات تتفطرن، وتخر له الجبال هداً، وأقمنا عِنده بخير دار مع خير جار، قالت: فوالله إنّا على ذلك إذْ نَزَل به، يعني، مِن ينازعه في ملكه، قالت: فوالله ما علمنا حُزْنا قطُّ كان أشدَّ من حزنٍ حزِنّاه عند ذلك، تخوُّفاً

أن يَظْهَرَ ذلك على النجاشي فيأتي رجلٌ لا يعرف من حقنا ما كان النجاشيّ يعرف منه، قالت: وسار النجاشي وبينهما عُرْضُ النيل، قالت: فقال أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: منْ رجلٌ يخرج حتى يحْضُر وقعةَ القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوّام: أنا، قالت: وكان من أحدث القوم سنا، قالت: فنَفخوا له ريةً فجعلها على صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها مُلْتَقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم، قالت ودَعوْنا اللهَ للنجاشيّ بالظهور على عدوّه والتمكين في بلاده، واستوسق عليه أمرُ الحبشة، فكنّا عنده في خير منزل، حتى قدمنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بمكة.(١)

قالت أم سلمة: فوالله ما علمنا فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي(٢) إن رأيت هذا وغيره كثير، أدركت أن القوم لهم مشكلة مع الفطرة قبل الدليل الشرعي الصحيح.

فالفطرة قاضية: أن النفس جبلت على عرفان من يحسن إليها، وشكر من أسدل لها معروفاً، والشرع قاضٍ: "من صنع لكم معروفاً فكافئوه"(٣)؛ لهذا لم تنقلب الماكنة السلفية على الفطرة بالفهم الفطري الموافق لصحيح الأثر؛ بل جاءت _للأسف_ منتكسةً تسير مسيرة إرجافٍ علنيٍّ لا تستحيي من التصريح به، والدعوة لاتباعه؛ ورفعت بوجوب الاستسلام للعدو صوتاً، وقعدت لتشويه "كتائب القسام" كل مقعد خسيٍّ مخزٍ.

في بلاد الحرمين اختفى سماحة المفتي، فلم ترَ له موقفاً مشرفاً، ولم تسمع له صوتاً معرّفاً، وكأن الصمت في مواقف النصرة الواجبة سلامة من المؤاخذة، وهي على الحقيقة جزء من المساهمة الصامتة في الإبادة، وبعض الإرجاف المشين كالعادة؛ فيما انطلقت جحافل الجامية السلفية تتربص بالمجاهدين كل مرصد، ولم تدخر وسعاً في التثبيط والتخذيل والتعويق، مسارعة في النفاق على القول الحقيق.

ولم تسلم المسيرة من صوت نشاز ينسب نفسه "للتيار الجهادي" من حسد إرجاف، قادهم للتخذيل هبوطاً بإسفاف، فداعٍ لعدم النصرة إلا نصرة المتورط الذي يقتصر فقط بالدعاء للمستضعفين ولا يرحم المجاهدين، وقد رماهم بالكفر الصريح، والنفاق القبيح !!؛ فيما طالبهم خوار آخر بصريح الاستسلام، وقبول العلمانية على استرحام!!

هو طوفان بكل ما يقتضيه من معنى، جاء ضرورةً شرعية لتجلية المواقف، وتصفية الصفوف من لابسي المسوح، أرباب الدخن الذي غطى وجه الدعوة الصبوح؛ وهو حاجة بشرية لفهم عظيم العمل الواجب المطلوب للخلاص، وإدراك حقيقة العمى الذي غشى العيون، وطمس البصيرة وصاغ للنفاق المتون، وأتى على أصول التدين واخترق الحصون.

في مجالس التحديث وبيان واجب الوقت، قام السلفيون يقدمون للطلبة الإرجاف والمقت، وقدموه بالتأصيل المفترى، والنفاق المجتبى، وفتحت لهم مساحات البيان، والمجلس المشهود للتبيان.

---

١ مسند الإمام أحمد: (٣٥٩/٢) ح (١٧٣٩)

٢ صحيح السيرة النبوية للألباني: ١٧٧

٣ سنن أبي داوود: (١٢٨/٢) ح(١٦٧٢)، سنن النسائي: (٨٢/٥) ح(٢٥٦٧)

مايقول سماحة الشيخ العقور، والبهلوان الوقور، في جهاد دفع واجب على أمة كبيرة، فأخلدت للأرض ولم ترفع عقيرة، فجاء الجواب الراسخ، والتأصيل الماسخ، والفصل الناسخ:

- مشاهد المقاومة في غزة لقطات ألعاب كرتونية
- حماس إرهابية
- حماس خوارج
- الجهاد بدون إذن ولي الأمر جهاد في سبيل الشيطان
- لا تضغطوا على ولاة الأمر لنصرة غزة
- كيف تكون صهيونياً في دقيقة واحدة؟ كن حمساوياً
- طوفان الأقصى طوفان العار والدمار
- الدين لا يعارض التطبيع إن رأى ولي الأمر مصلحة
- ندين السابع من أكتوبر ونحن ضدها تماماً.
- يجب مجاهدة العدو بالسنن
- الطوفان مغامرة

هذا حقيق ما قدموه، وإرجاف ما أصلوه، ولسنا نفتري عليهم ظلماً، فذلك منطوق كلامهم يقطر سمّـاً.

لستَ بحاجة بعد هذا الكشف الجلي، والبيان الصفي، إدراك حجم الاختراق الذي أصاب الدعوة السلفية المفترى عليها، وتقديمها في صورة ماسحة أدران الطغاة، وأوساخ العتاة، فهذي مبالغ علمهم في تشويه جهاد الطائفة المنصورة، وإليك شق التصور الآخر المظهر حقيقة هذي الماكنة المأجورة.

في أحدث تسريبات للوزير الصهيوني بلينكن في زيارته للمنطقة بعد أحداث السابع من أكتوبر، كشف الستار عن حقيقة جولته في منطقتنا وما حصل ودار: حط الوزير رحال إثمه في بلاد التوحيد، استمع للساسة ولم يقبل حياداً، فأجابوه بمنتهى الإفادة: قال وزير الخارجية السعودي فيصل لبلينكن: "**كان على إسرائيل أن لا تأمن لحماس، وقد حذرنا نتنياهو من ذلك مرارًا، فحماس هي جماعة الإخوان المسلمين**"، ثم واصل وزير الخارجية السعودي قوله: "**الجماعات الإرهابية لا تحاول القضاء على إسرائيل فقط، بل تريد الإطاحة بزعماء عرب آخرين، ونحن قلقون من تداعيات ما تقوم به إسرائيل في غزة على أمننا جميعًا، وما سيأتي بعد حماس قد يكون أسوأ، فداعش جاءت بعد القاعدة وهي أسوأ منها**".

طار الوزير للإمارات ليسمع ما يريده حقيقة بلا شعارات، فجاء القول فوق حدود النفاق الخطير، حاشا النفاق أن يقبل ما قال الأمير، **أصر محمد بن زايد آل نهيان على عدم إيقاف الحرب حتى استئصال حماس في غزة**.

وقال لبلينكن: "**يجب القضاء على حماس، لقد حذرنا إسرائيل مرارًا من أن حماس هي جماعة الإخوان المسلمين، يمكننا أن نمنح إسرائيل المساحة والوقت للقضاء على حماس، لكن يجب على إسرائيل أن تساعدنا أيضًا من خلال السماح بدخول المساعدات الإنسانية وإنشاء مناطق آمنة للتأكد من عدم قتل المدنيين، بجانب السيطرة على عنف المستوطنين في الضفة الغربية.**

ركب بلينكن طائرة تلقين الدرس وحط الرحال في أردن الشام، ليؤكد على سياسة مطلوبة في قابل الأيام، قال الملك الأردني: **حذرنا إسرائيل من حماس، حماس هي جماعة الإخوان المسلمين، ويجب على إسرائيل أن تهزم حماس، لكني لا استطيع قول ذلك علنًا**".

في أوج حرب الإبادة، تفتح مصر قناة السويس لعبور السفينة ساعر خمسة المحملة بالصواريخ، عليها العلم الإسرائيلي يرفرف بجانب العلم المصري!، ناهيك عن إشعال الإنارة على طول محور "صلاح الذين" المحتل من العدو والذي يتعرض جانبه الفلسطيني على عمق أكثر من أربعة كيلومتر للهدم الممنهج، ومعه تهجير مليون فلسطيني من المدينة.

لم يكن شيئاً في ذلك كله غريباً، فتلك وظيفة الملوك في وطن غدا سليباً، ولكن الغريب العجيب، ألا ترى لشيوخ الدعوة السلفية تعليقاً على هذا الكفر المريب، صمت المقدمون والمؤخرون، والأولون والآخرون، حتى لكأن جمعهم في كوكب عطارد، يبحث عن تكفير الرافضة وتخوين حماس ويطارد!

لو أنصف الجيل حماس لشكرها على طوفان جاء ضرورة شرعية، وحاجة بشرية، فلولا الطوفان لما انكشف هذا الإرجاف العميق، ولا بان ينعه الخبيث في المجلس الصفيق، ولا ظهرت خبايا القوم وما تخفي الصدور، ولا بانت ولائج الهوى في حمأة الطغيان وهي تدور.

خارطة الإرجاف

لا شيء في غارات الإرجاف ارتجالي، فكل حالاته مقصودة، وكل عباراته مدروسة، ومنهجه في محاربة المصلحين مختوم بخاتم أئمة الضلال مجتمعين. لهذا فالإرجاف طريقة مخابراتية، يتولى كبرها أجهزة المخابرات على أعلى مستوى، فهو جزء من محاور القتال التي يسعى من خلالها الطغاة كسر التماسك الداخلي للمجاهدين، عبر كسر حاضنتهم، وتشويه منطلقاتهم، وأشق ما في الإرجاف أنه خفي خفاء النملة السوداء، على صخرة صماء، في ليلة ظلماء، في سيله الجارف العاتي، أخلاط لا يجمعهم غير مقاصد إنهاء الجهاد وتشويه أهله، وتقزيم إنجازاته، ففيه العميل المدرب، والجندي المجرب، والغبي المخرب !!

يسعون مسرعين مجتمعين كلٌّ له جانب ينهش فيه نهش الضبع على وضاعة، قد أتوا بكل سيءٍ، وقبيحٍ، ومأجورٍ، ووسيلة متهمة فبئست البضاعة، لم تكن انبعاثاتهم على غير معلَم، ثعابين غدر ولا يرجى منه مغنم، اجتمعت جوقتهم، وانطلقت بوتقتهم، فجاءت خارطة السعي الأثيم، تحوي التقسيم الزنيم، على النحو التالي:

"منشيء للمحتوى الأثيم، ومتلقي التعميم، ومعمم الإرجاف في كل وسيلة وصول، ثم متابعة غارات تشويه الشريعة والأصول"

الإرجاف السلفي أصولٌ وشواهد

نسلط الضوء في هذا المطلب على أبرز منطلقات الإرجاف السلفي بعباءة التأصيل غير البريء، والغاية من الاستماتة في ترسيخه في الجيل من خلال الإسقاط الممنهج القميء، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً/ جهادٌ في عباءة طاغية: بهذا الأصل المختل، ساهمت الماكنة السلفية بدعم المحتل.

ساقوا لبيان منع الجهاد: وجوب القتال خلف الإمام المفدّى، وطلب إذنه وإن والى الكفار وظاهر وتردى، جعلوا الإذن شرطاً في الانتساب للمدرسة السلفية وأمارة على صحيح الانتماء، ومخالفه بدعي خارجي المنتهى والابتداء.

رسموا لأنفسهم ولأتباعهم صورة مسألة شرعية مضطربة عن حقيقة الصرع، فجاءت أصولهم في غير محل النزاع.

فالصورة المنحوتة في الأذهان المسحورة، أحاطها وهم مضلل بالأصول القلقة المقبورة، فصورة الماكنة السلفية الموجهة: يحرم الجهاد بغير إذن الإمام وطلبه، وجعلوا ذلك في كل صورة جهاد، ولو كان جهاد

دفع للعدو المتغول على الدين والدم والعرض!!

وعلى هذا الأصل المضطرب نقلوا الإجماع، وطاروا به في كل محفل واجتماع، وعليه نشأ الطلاب وبرعوا، وله أقاموا موازين المفاصلة وشنعوا؛ ولأجله جرموا العاملين، وشوهوا منطلقات المجاهدين، ورموهم بالإفك، وقابلوا معروفهم بالنكر.

وقليل البحث كاشف عن حجم التوظيف المبتذل، لأصول السلف في عباءة الطغيان المختزل، وقبيح الموقف المهادن، لأمراء السوء المخادن.

الماكنة السلفية جيّرت كل ما يتعلق بجهاد الطلب ولصقته بجهاد الدفع الذي لا يشترط لها شرط، وأنّه مجرد احتلال العدو لشبر من بلاد المسلمين، فإنه يتعين عليهم جميعاً الدفع بالممكن، ولا يستأذن إمامٌ عادلٌ، قائمٌ لله بحق؛ فما دونه من الطغاة المسارعين في الكفر هو آكد بلا شك!

في ذلك المعنى الرشيد، والفهم السديد، جاء بيان السادة الأحناف، يقطع قول تخذيل وتثبيط وإرجاف؛ يقول المرغياني: "فإن هجم العدو على بلد **وجب على جميع الناس الدفع، تخرج المرأة بغير إذن زوجها، والعبد بغير إذن المولى؛ لأنه صار فرض عين** (١)

وقال _رحمه الله_ : "ولا تقاتل المرأة إلا بإذن زوجها، ولا العبد إلا بإذن مولاه لما بيَّنَّا، **إلا أن يهجم العدو على بلد للضرورة"** (٢)

وهذا بيان السادة المالكية في مختصر الخرقي، فيه كفاية عن قول الموظف الخِرَقي!، قال الخرقي: **"وواجب على النَّاس إذا جاء العدوُّ أن ينفروا المقل منهم والمكثر ولا يخرجوا إلى العدوِّ إلا بإذن الأمير إلاَّ أَن يفجأَهم عدوٌّ غالب يخافون كلبه فلا يمكنهم أن يستأْذنوه"**(٣).

قال الشيخ دردير المالكيّ: " وتعين الجهاد بفجء العدو على قوم، وإن توجه الدفع على امرأة ورقيق، **وتعين على من بقربهم إن عجزوا عن كف العدو بأنفسهم"**(٤)

فإن فجء العدو المسلمين في بلد، تعين دفعهم بالممكن، ولا ينظر لحد استطاعة، ولا لشرط إذن إمام غائب أصلاً شرعاً وقدراً، وينتقل الوجوب للمسلم القادر في المحيط الأقرب فالأقرب.

فتغافلت الماكنة السلفية عن هذا التأصيل الذي يضج في ثنايا الكتب السلفية، واختاروا جانباً دافئاً ينظرون بالأصول الموظفة التلفية !

---

١ الهداية مع البناية شرح الهداية: (٩٨/٧)

٢ المرجع السابق: (١٠٠/٧)

٣ مختصر الخرقي (١٣٨)

٤ الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي (١٧٦/٢)

وبذلك المعنى جاءت تقريرات السادة الحنابلة؛ ما يقطع به قول المرجفين التنابلة؛ قال ابن قدامة: "وأمر الجهاد موكولٌ إلى الإمام; فإن عُدِم الإمام لم يؤخر الجهاد؛ لأن مصلحته تفوت بتأخيره" (١)

فالجهاد لا يؤخر لانتظار إمام ليس موجوداً إلا في مخيلة العقلية الوظيفية للماكنة السلفية للأسف، فصورته اليوم: في شخص غارق في موالاة العدو حد التفاني، وتنفيذه أجنداتهم الاحتلالية درجة التعامي.

وليس الجهاد جهاد طلب لُيلزم الجيل بوجوب الإذعان؛ لقواعد الإرجاف في محابر الأدران؛ وإنما هو جهاد دفع عن بلد طال احتلاله، وغيّبت هويته الإسلامية جيش يهود وأغلالُه

أما الشافعية فهذا بيان الخطيب الشربيني، في مغني المحتاج ما يكفيك ويكفيني؛ قال الخطيب الشربيني:" **الثاني يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن، فإن أمكن تأهب لقتال وجب الممكن حتى على فقير وولد ومدين وعبد بلا إذن**" (٢)

وعن انتقال الوجوب للمسلمين عند عجز الدفع عن الثغر المحتل؛ قال أيضاً: "ومن هو دون مسافة قصر من البلدة كأهلها، ومن على المسافة يلزمهم الموافقة بقدر الكفاية إن لم يكف أهلها ومن يليهم. **قيل: وإن كفوا**" (٣)

فلو تغول العدو على بلد مسلم، هو درة البلاد وأزكاها، لاسيما وفيها معراج النبي ورابط الأرض بسماها، وجب على المسلمين الاستنفار لحماية أقصاهم والمقدسات، ونبذ كتابات الإرجاف والتقعيدات، وذلك فرض الأمة المسلمة وقد تعيّن، بذلك جاء صريح المنهج وقد تبيّن، يجافي تقعيدات الماكنة السلفية والأقزام، فهذا منطوق ابن تيمية شيخ الإسلام، قال ابن تيمية: " وقتال الدفع مثل أن يكون العدو كثيراً لا طاقة للمسلمين به لكن يخاف إن انصرفوا عن عدوهم عطف العدو على من يخلفون من المسلمين **فهنا قد صرح أصحابنا بأنه يجب أن يبذلوا مهجهم ومهج من يخاف عليهم في الدفع حتى يَسلموا**)(٤)

ولو فرض أن كان المسلم وحده في جهاد الدفع وقد تكاثر عليه الغزاة؛ فله أن يقاتل وحده قتال الأباة الكماة؛ هذا ما ذكر العسقلاني ابن حجر، فاسمع ما قاله الإمام وألقم المرجفين حجراً على حجر، قال ابن حجر: " وأمَّا المنفرد وحده بلا عسكر فلا، لأنَّ الجهاد إنَّما عُهد بالجماعة دون الشخص المنفرد، **وهذا فيه نظر، فقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه سرية وحده**"٥

---

١ المغني لابن قدامة: (٢٠٢_٢٠٣/٩)

٢ مغني المحتاج: (٢٢/٦)

٣ نفس المرجع السابق: (٢٤/٦)

٤ الفتاوى الكبرى لابن تيمية: (٥٣٩/٥)

٥ فتح الباري: (١٦٤/٨)

وقد حمل سلمة بن الأكوع _رضي الله عنه_ على العدو وحده، وفي الحمل هدمٌ لأصول المرجفين فافهم قصده:

١. لم يطلب سلمة إذن النبي _صلى الله عليه وسلم_ في دفع العدو، لعلمه أن جهاد الدفع لا يستلزم الإذن وقد لزم.

٢. لم ينكر النبي _صلى الله عليه وسلم_ على سلمة اجتهاده، لاستقرار معنى الدفع دون الإذن في نفوس الصحابة وبذلك جرت العادة.

فأين الماكنة السلفية عن هذا الفهم وقد قررته أصول خير القرون، حتى يعيثوا فيها إفساداً رجاء شبع البطون ؟!

ثانياً/ مشرحة الإرجاف، ومقاصل الإنصاف

من المداخل الخطيرة التي أرادت بها الماكنة السلفية تثبيط الجيل عن واجب النصرة الواجبة: نصبهم موازين التصنيف للجماعات المجاهدة العاملة، واشتراطهم صفات فيها على قاعدة الكمال الظالمة، طالبوا الجماعات بطهرية تامة غير منقوصة، وتلك أبرز توجيهات الماكنة الطاغوتية المدروسة، تكليف بما لا يستقيم في ميزان الفطرة السوية، فضلاً عن قواعد الشرع الحنيف الرضيّة

فلا جهاد يقبل تحت راية الإخوان المسلمين ولو كانوا طائفة الوقت القائمة بأمر الجهاد والدين، ومع أن مقتضى هذا القول المعاند للنصوص: تعطيل الجهاد وإسلام العباد للمحتل واللصوص؛ إلا أنّ الماكنة السلفية مضت فيه بعزم وإصرار، بليّ النصوص وحرف الحق البيّن على ضرار.

وتغافلوا عن صريح ما قال العلماء، فكانوا بيادق توقيع لمكر العملاء.

فنصبوا لحماس مشرحة إرجاف التشويه، ومقصلة المحاكم بالقول السفيه، فنعتوها نعوت التنقص القادح في صحيح التدين، ونالوا من جهادها النقي البيّن.

وفُتحت لأجل دعوات إرجافهم كل وسيلة وسبيل، فكم ميت بشبهاتهم، وكم قاعد ومخذول وقتيل ؟

قلبوا في نفوس الناس أسئلة التردد والشك، وهم أدرى الخلق بإرجافهم بلا شك، يرفعون الظلمة بأعوج الأصول، ويخفضون المجاهد طمعاً بحظوة الوصول.

لهم مع ولاة الخمر راحة البسط والاعتذار، وعلى المجاهد ضباع طمع بأوسمة الافتخار.

قد يقبلون من ولاة أمرهم ضلالاً بيّناً وفساداً بتاج الغواية، ولا يقبلون جهاد حماس ولو جاء على منابر الهداية!!

وما ذاك إلا لأنّ حماساً هي مرآة مغشوش طريقهم الصلعاء، ومهزوز تقعيداتهم الجلحاء.

إذا ما روجعوا في فسق ولي أمرهم المخمور، وحكم الجهاد معه إن دعى إليه في الحلم المقبور، قالوا: عقيدتنا في الإمام هي عقيدة السلف الأكابر، أننا نقاتل خلف كل بر وفاجر !!

ورغم أن ولي أمرهم في غيابات الضلال والإضلال يقيم، غير أنه في عقيدة الماكنة السلفية إمام هدى وزعيم.

فلا جهاد إلا جهاد ولي الأمر المطاع، ولا راية واضحة إلا راية ولي الضياع!!

فعلى مشرحة الإرجاف، ومقاصل الإنصاف، ذُبحت أصول السلف بسكين التصنيف، وتمييز الخلق بالقول الواهي الضعيف.

طالبوا الجيل بالجهاد تحت راية واضحة، ولم يقصدوا إلا ولي أمر غارقاً في الموالاة الفاضحة؛ كأنهم يقدمون الجيل ليشاهد ذبح العقيدة على مذبح القرابين، لينعم الطغاة بكفر ممهور بتوقيع السلفيين المرابين!

أرادوا قتل الجهاد في نفوس الجيل بقتل دلائله، فأسقطوا حملته ودعاته وجنده بتشويه مقاصده ووسائله.

عززوا في النفوس فوضى البحث عن الحقيقة السالمة، فاشترطوا لسلامة الجهاد شروطاً بدعية ظالمة.

قالوا: لا راية واضحة في جهاد الإخوان في غزة لتبارك، ووسموا الجهاد بأوسمة سقوطٍ في التمثيل تشارك.

كبُر عليهم أن يحرموا الجهاد بالقول الواضح الصريح، فقالوا: المشكلة في الراية ووضوحها بمقتضى التأصيل الكسيح.

ورغم كونهم ينسبون أنفسهم _زوراً_ لإمام أهل السنة والجماعة؛ غير أنهم بحسد الإرجاف حملوا سيء البضاعة، فقالوا قولاً لا حظ له من صحيح النظر، وغايته إرضاء الطغاة طمساً للبصيرة والبصر.

قال ابن قدامة المقدسي في المغني، قولاً منسوباً لأحمد وفيه لراجي الحق ما يغني: " قال أبو عبد الله وسئل، عن الرجل يقول: أنا لا أغزو ويأخذه ولد العباس، إنما يوفر الفيء عليهم، فقال: **سبحان الله، هؤلاء قوم سوء، هؤلاء القعدة، مثبطون جهال، فيقال: أرأيتم لو أن الناس كلهم قعدوا كما قعدتم، من كان يغزو؟ أليس كان قد ذهب الإسلام؟ ما كانت تصنع الروم؟**"(١)

ثم هل كانت كتائب القسام في الثغر المبارك أسوأ ممن قاتل التتار، وقد دعى شيخ الإسلام للقتال تحت رايتهم بخبر ذاع واستطار!

قال ابن تيمية: "**فإن اتفق من يقاتلهم على الوجه الكامل فهو الغاية في رضوان الله وإعزاز كلمته وإقامة دينه وطاعة رسوله وإن كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بأن يكون يقاتل على الرياسة أو يتعدى عليهم**

---

١ المغني: (١٦٩/٩)

في بعض الأمور وكانت مفسدة ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه: كان الواجب أيضا قتالهم دفعا لأعظم المفسدتين بالتزام أدناهما؛ فإن هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها"(١)

وكلامه _رحمه الله_ في حق المماليك بديعاً شافياً، فاقرأ كلام خبير عذباً نقياً صافياً؛ رغم عظيمة المؤاخذة على طريقتهم في أبواب السنة وإقامة الشريعة

قال ابن تيمية :"**هذه العصابة التي بالشام ومصر في هذا الوقت هم كتيبة الإسلام وعزهم عز الإسلام وذلهم ذل الإسلام. فلو استولى عليهم التتار لم يبق للإسلام عز ولا كلمة عالية ولا طائفة ظاهرة عالية يخافها أهل الأرض تقاتل منه"**(٢)

فهل كان المماليك في الزمان الغابر على ما فيهم من بدع منكرة، أفضل من كتائب القسام سلفيو المعتقد عزاً ومفخرة!

تلك لعمري قسمة ضيزى جائرة، تولى كبرها إرجاف قلوب خائرة.

ولما كانت البدعة بوابة مثيلاتها وأشر، فقد أساء مخترعها وأثِم وأضَر

فاشتراط وضوح الراية على الطريقة السلفية فوق كونها بدعة مردودة، فهي ضرب من ضروب التحكم وطرائق تعجيز معهودة.

فهي بهذا التحكم البدعي الأبتر، تدفع الجيل لعظيم إثم بعد إثم الكفر الأغبر

وقد جاء هذا الكلام بصيغة تأكيد وجزم، على لسان الألمعي الإمام ابن حزم

قال ابن حزم: "**لا إثم بعد الكفر أعظم من إثم من نهى عن جهاد الكفار وأمر بإسلام حريم المسلمين إليهم من أجل فسق رجل مسلم لا يُحاسب غيرُه بفسقه"** (٣)

ثالثاً/ تثاقل إلى الأرض ظاهره الرسوخ، وحقيقته تشويه الحق..

قال الله في محكم التنزيل "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (التوبة: ٣٨) يقول سيد الشهيد:"وما يحجم ذو عقيدة في الله عن النفرة للجهاد في سبيله، إلا وفي هذه العقيدة دخن، وفي إيمان صاحبها بها وهن. لذلك يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - " من مات

---

١ مجموع الفتاوى: (٥٠٦/٢٨)

٢ المرجع السابق: (٥٣٤/٢٨)

٣ المحلى: (٣٥٢/٥)

ولم يغزو ولم يحدث نفسه بغزومات على شعبة من شعب النفاق " . **فالنفاق** - وهو دخن في العقيدة يعوقها عن الصحة والكمال -

هو الذي يقعد بمن يزعم أنه على عقيدة عن الجهاد في سبيل الله خشية الموت أو الفقر، والآجال بيد الله، والرزق من عند الله" (١)

فالمنافقون المرجفون إذا دعوا للنصرة والجهاد ، تثاقلت جسومهم لأرض الكساد، وتعلقت نفوسهم بدنيا العباد. لم يرغبوا أن يعيروا بذل القعود المخزي، فركبوا لذلك مراكب تشويه الحق المرضي.

فتناولوه بغارات الإلزامات المخترعة، وقصفوه بقواصف التشويه مجتمعة، وحاربوا الطهر فيهم لأنه يعريهم، ويظهر حقيقة نفوسهم المرجفة ويجليهم!

تثاقلت أبدانهم للأرض تثاقل حريص لا يريد جهاداً ولا فداءً، وقنعوا بحياة التبعية ذلةً ونماءً، فتقرحت لديهم قرائح قيح شرعنة التبرير، فجاءوا الناس بالقول الشنيع المبير، قالوا: هذا جهاد مفتقر لمعاني الشرع الحنيف، وطالبوا المجاهدين بالاستسلام للرأي المرجف السخيف!

جعلوا للجهاد شروطاً رغم كونه للدفع ورد العادية، وبها ألزموا أنفسهم والناس بالتمتمات العارية، لهم سلف بالمنافقين مروراً بقواعد الكفر الجريء، حاشا الشرع أن يوافق هوى سلفيي الظلم غير البريء.

جاء النبي _صلى الله عليه وسلم_ قومه برسالة فيها صلاحهم، وبها يعلو في الناس أمرهم وفوزهم وفلاحهم، فقابلوا معروفه بالنكر، وغيروا وجه صوابه بالإفك، ورموه بأنواع الزور والبهتان، وأحاطوا دعوتهم بإلزامات الطغيان، قص لنا الكتاب حكايتهم بأجزل عبارة، وأظهرِ حرفٍ وأوضح إشارة، فقال الله " فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (هـ ود: ١٢)،

أمروا بالاتباع ولزوم الهدى لتحصيل المرغوب، فاشترطوا شروطاً لا علاقة لها بالمطلوب، طلبوا كتاباً غير الكتاب ليتبعوه، وليلزموا قوله ويلتزموه "قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ"(يونس: ١٥)، مختصر منهجهم قولٌ وجيز، إن عجزت إن اللحاق فدونك طلب التعجيز، فيه إعسار عن الشرح، وبه سلامة من القرح، ولا نحتاج معه تبرير التثاقل الواضح، ولا الخور المهين الفاضح، لنا بأبي جهل وصحبه مستند وشاهد، ما يغني عن الاعتذار عن الملاحم والمشاهد، لسان الحال: هاتوا لنا طريقاً غير طريق حماس، لنخوض المعركة دون التباس !!

هو منطق أبي جهل لا منطق الكتاب، وشتان بين سلولي أرضي، وطيب من جملة الأصحاب!

كأننا وإياهم على أرض لا حسم فيها ولا قطع، فمن أين نأتيهم بملائكة تخوض جهاد ردٍّ ودفع!

سبحان ربنا لم نكلف بذلك فذاك تكليف بما لا يطاق، وإنّا وإياهم في مفاصلة إيمان ونفاق؛ لكم دينكم ولنا دين، حتى يفصل بيننا بالحق رب العالمين.

وما أعجب سرعة تقلب الدهر واستنساخ الأحداث، فكأننا اليوم مع العتاة الطغاة في مجلس الأجداث

---

١ في ظلال القرآن، لسيد قطب: (١٦٥٥/٣)

وقد جعلوا تثاقلهم الرافض لرسالة الجهاد، شرعياً يشوهون به الدعوة وخير الأجناد

"وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93)

وهم اليوم على الجادة يقتفون الأثر، ويستنسخون تهمةً سيئة الخبر، يريدون جهادا مضمون النهاية، ينالون بتثاقلهم وإخلادهم شرف مرتبته والغاية، فلما أعيتهم نفوسهم أن يرفعوا بالجهاد رأساً، أظهروا في الإرجاف والتثبيط شدةً وبأساً.

قعدوا في مجالس تأصيل القعود منتفخي البطون، وساقوا الإرجاف بقوالب سلفية ولحن المتون، وقعد ضحايهم يتلقفون إفك ما تجود به قرائح النفاق الأثيم، فغارت أقدامهم جهلاً في حمأة التثاقل الزنيم.

ولم تكن دعواهم يومئذٍ إلا اعتذاراً أرضياً يطلب السلامة، ويرفع عنهم إمكان مراجعة صحوة ضمير والملامة، فجعلوا التثاقل للأرض شرعياً محسوماً، ومخالفَهم على هداه واصطفائه أبتر محروماً

أحاطوا تثاقلهم بهالة البسط العلمي الكذوب، وله صفق كل خوار هيوب، وبه سعِدَ كل طاغية لعوب.

فقلبوا الصورة وأحالوا التثاقل للأرض هو عين المشروع، والجهاد المتعين للدفع هو عين الممنوع،

كأنهم في الزمان الأول عن باطلهم يدفعون، بباطل الإرجاف يؤصلون، قفزاً عن الواجب المعلوم، لتشويه حملته بالإفك المسموم "إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ" (المؤمنون: ٣٨)

وسار ضحاياهم في البلاد يرددون مقالة لم يقيموا عليها دليلاً، إلا دليل: حدثنا المنفوخ عن المشبوه عن المخابرات وصلاً عليلاً

دعوا لترك التثاقل وملازمة البنيان والعمران، فقابلوا المعروف بمقالة فرعون لنبي الله موسى بن عمران :"قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (طه: ٥٧) ،قعود ظاهره الرسوخ وفصيح الكلام، وحقيقته تشويه دعوة الجهاد والكِلام، عقيدة في أصولها دخن، وفي إيمان أربابها وهن.

رابعاً/ هالة الموت وحقيقة الإخلاد.

إن شرّ ما فُتح على الناس في دنياهم دنيا الفوت: إخلادهم للأرض حباً حريصاً وكراهية الموت، في حديث ثوبان _رضيالله عنه_ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعته"، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»،

فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا، وكراهية الموت"(١) فاستمسك الناس بالدنيا تمسّك حريص لا يريد موتاً، يقلب النظر في كل خطوة يخشى فوتاً، وعلى هذا الميزان الوضيع، حوكم كل فعل واجتهاد رفيع.

استعظم الذين يناط بهم تحريض الناس لصد عادية المحتل، فأخلدوا للأرض مهابة الموت وقد حل.

لا يأتون البأس إلا قليلاً، أشحةعلى الخير لا يهتدون سبيلاً، ينادون في الجيل هلموا إلينا، واحذروا الموت وقد أبينا، فلا تزهقوا في سبيل الله الأرواح، واقعدوا ففي الإخلاد طمأنينة ومستراح

ينظرون للمجاهدين نظر تمني الانكسار، ليقولوا ألم نقل لكم ونمنعكم من القتل والدمار، وقد صدق فيهم قول ربنا رب الأرباب، في آي الكتاب المحمكة من الأحزاب "قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا" (الأحزاب: ١٨)، قال ابن تيمية:" قال العلماء: كان من المنافقين من يرجع من الخندق فيدخل المدينة فإذا جاءهم أحد قالوا له: ويحك اجلس فلا تخرج. ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين بالعسكر: أن ائتونا بالمدينة فإنا ننتظركم. يثبطونهم عن القتال. وكانوا لا يأتون العسكر إلا ألا يجدوا بدا. فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم. فإذا غفل عنهم عادوا إلى المدينة. فانصرف بعضهم من عند النبي صلى الله عليه وسلم فوجد أخاه لأبيه وأمه وعنده شواء ونبيذ. فقال: أنت ههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف؟ فقال: هلم إلي فقد أحيط بك وبصاحبك"(٢)

أخلاقٌ يتوارثونها كابراً عن كابر، يتلقفها نبتهم في كل عصر ويكابر، وصف ثابت فيهم على التحقيق معلّم، واقرأ إن شئت قوله تعالى " قديعلم " فهي دوماً للتحقيق، فتأمل القول الحقيق.

يظنون أن الله لا يعلم سرهم ونجواهم، وخفي صدورهم وفحواهم، قد جمعوا مع الأولين صفاتٍ خِلْقية، وأخرى خُلُقية، جمعهم النفاق المستقر، في نفس تتلظى بالإرجاف وتستعر، فاسمع هذا الخبر الساري، وقد جاء في صحيح البخاري؛ عن عبد الله رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم. فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله "وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم" (٣)، قاموا في الناس خطباء، ولبسوا لبوس الحكماء، كأنهم حريصون على دم مضى على نزفه المستمر ثمانين عاماً، فلم تحرك فيهم شلالاته نخوةً فصمتوا صمت قبور كمن نذر صمتاً فصامَ، لم يعتذروا عن الإخلاد للأرض رغباً، وفرارهم من الموت رهباً، فقاموا

---

١ سنن أبي داورد: (١١١/٤) ح(٤٢٩٧)

٢ مجموع الفتاوى: (٤٥٥/٢٨)

٣ صحيح البخاري: (١٥٢/٩) ح(٧٥٢١)

ينشرون إرجافهم والتعويق، ويطالبون الجيل بالقعود بوجه صفيق، هلموا إلينا ولا تواجهوا الموت فالسلامة في الجلوس، واطلبوا الاستسلام ولو أذلاء فالعدو لا يُدفع كذا جاء في مقرر التيوس!!

خامساً/ إسقاط مقصود، وكذب معهود.

من أرذل صفات المرجف الخوار، تشويه المجاهد بفرى الكذب الهذّار، لا يستقيم له حال حتى يسعى جهده في محاولة إسقاط كل عامل خارج منظومة التوظيف الهابطة، باختلاق الكذب المعهود والأباطيل والأراجيف الساقطة.

في غزة رُفع للجهاد لواء، ودعي له الخلق على سواء، معركة واضحة المعالم لا تحتاج كثير تنظير، فالعدو فيها يهوديٌّ محتل ذو شرٍّ مستطير، قد تحشد تحت لواء التلمود وجاء بوعد البقاء، فحملت على أحلام يقظته جحافل الحق برسالة السماء، نازلوه في حصون خيبر من جديد يرتلون آي الذكر ترتيلا، عمريو العزم جند محمد كأن بين صفوفهم جبريلا.

خلفهم لم تتحرك أمة حبيسة الخوف والمستحيل، ومن فوقهم جوقة إرجاف تنشر التثبيط الوبيل، لم يستطيعوا فعل الأبطال في منازل النزال، فاجتهدوا في سرعة إسقاطهم بالكذب البطّال.

قالوا: وما يغني الطوفان مع منهج أعوج، واسترسلوا في الدجل الأعرج

وما أرادوا إلا إسقاط الجهاد من جذوره ليتنعموا بدنياهم دون معرّة، ولا عليهم ألو عاث العدو في الأرض إفساداً دون أدنى مضرة، فهم في جلباب الطاغية يتعلقون، ولباطله يصفقون ويطبلون، والأدهى أن جعلوا ذلك كله من منهج السلف الصالح، فجمعوا مع خبث طريقتهم القصد القبيح الطالح.

فضيلةَ الشيخ المفدّى ما يقول سماحتكم في جهاد القسام في الأرض المباركة، على عجل أجاب سماحته دون تلعثم ليس جهاداً وإنما مجرد مغامرة ومعاركة، ثم استطرد سماحته استطراداً مقصوداً، وساق لبيان كذبه إفكاً معهوداً، قال وبئس ما قال: حماس توالي الشيعة، وطريقتهم قبيحة مذمومة شنيعة، ولم يكلف سماحته نفسه عناء البحث في الولاية والمناط، ويبرأ ذمته مما علق الميثاق برقبته وأناط، وكيف يبحث سماحته في المناطات وهو لا يملك الأدوات، أو كان يملكها بغير إرادة متجردة من الضغوطات، أم كيف يبحث عن دليل الإلزام بالاتباع حين الجلاء، فيتجلى الإرجاف في عباءة التوظيف الخسي ووضيع الولاء.

فما يصنع الشيخ المفدى، وقد لاح الحق وتبدى، غير محاولة الإسقاط المقصود، واختلاق الكذب المعهود؟!

قال الخبير بأحوال الطاغوت وأئمة الضلال، سيد الشهيد صاحب الظلال، في قول ربنا الكبير المتعال :"إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ" (المؤمنون: ٣٨) قال: " ثم إنهم لا يقفون عند هذه الجهالة، والغفلة عن تدبر حكمة الحياة التي تكشف عنها أطوارها الأولى . . لا يقفون عند هذه الجهالة، إنما هم

يتهمون رسولهم بالافتراء على الله أطوارها. ولا يعرفون الله إلا في هذه اللحظة، ولهذا الغرض من اتهام الرسول: (إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا ، وما نحن له بمؤمنين)"

لم يعرفوا الله في شريعة تغول عليها ولي أمرهم بالكبر والصلف، وإنما يعرفونها إذا دعوا للجهاد الواجب فتنفجر فيهم مجاري القرف!

لم يعرفوا الحرص على الدم المعصوم إلا إذا بذل في سبيل الله جهاداً، وهم عنه في عمى حين يسفك كل مرة على يد الطغاة كفراً وعناداً.

فإذا رأيت الشيخ في "غترة البيان" ينال من المجاهد في الميدان، فلا تغفل عن فهم مقاصد كلامه فهو كذب معهود، وإسقاط مقصود، يتوارى به القاعد عن السؤال الصاعد: ماذا قدمتم لجهاد مفروض قد وجب عليكم، فلم تنفروا كافةً وتثاقلتم وقد أبيتم؟!

سادساً/ يقين مهزوز ظاهره الحرص، وحقيقته الوهن والخَرص

في أحزاب عصرنا، وحصار نصرنا، حكم على غزة بالحصار المطبق خنقاً شديداً، وتوعدها الغزاة من كل ملة وعيداً، وجمعوا شملهم في أحزاب جديدة، وجاءت تحيط غزة الصابرة العنيدة، حكم على أهلها ودعاتها وعلمائها ومجاهديها بالإعدام البطيء، وحملوا عليها حملة لا رحمة فيها بالقهر القبيح القميء، انتصر الجيل فيها لداعي الهدى في نفوسهم الأبية، وكسروا الحصار بأظفار إعداد على التطويع عصية، صنعوا الصاروخ والسلاح، ولم يتركوا الساح، ونازلوا عدوهم منازلة مشاغلة، حتى جاء وقت الطوفان فرفعوا للدنيا لواء مفاصلة، لا يقبل الحياد في معركة مصير، فيها إرشاد بالدم للأمر الخطير.

انتظروا ممن رفع لواء السلف سنين محتكراً، فلم يقم سماحته وجاء على قدرٍ محتقِرا، يقلب النظر جهة القصر الحاكم، ليصيغ بيان الفقه الموافق السالم!!

فلما رأى غضبة ولي الأمر قد تجاوزت الحدود، سارع الشيخ ببيان حكم الاستسلام لليهود، ودعا الخلق للزوم راسخ التقعيد، وأن النصر عن الأمة أبعد من البعيد، ثم أحال تقعيداته غارات على المجاهد الغريب، وساق للتنقص منه الأمر العجيب، قالوا: إن استفزاز العدو الصائل الغازي، ضرب من الإثم لصيق مفارقة الجوازِ، ثم صعدوا الخطاب بلغة التعالي، ورموا المجاهد بالإفك المغالي، وساروا فيهم مسيرة الإرجاف الأولى، وحاصرت تقعيداتهم استفساراً وسولا. ليس عجباً أن نرى في زمن التقعيد المنكوس، استنساخ فقه الأراجيف المتهم الميئوس، قالوا مقالة أجدادهم الأراذل في خير زمن، وأفصحوا عن قبيح معتقد وعفن، حكموا بمقتضى الإرجاف وعفن الأضغان، لا بمنطق الحق في آي القرآن " إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (الأنفال: ٤٩).

هذا منطوقهم في أحزاب خندق غزة، وفي أوج ملاحم الفخر والعزة، لم نرهم في صف المجاهدين وقوفاً، وكيف نراهم وهم يخشون حتوفاً

ضعف في الله يقينهم الموجوء، فجاءوا بقول المنافق الموبوء، استبطئوا نصراً ظنهوه سهل المقام، واستعظموا ضريبةً في طريق عالي المقام، فخارت عزائمم المنهارة، وارتقوا مرتقىً بالغ الحقارة، فجلسوا للمجاهدين مجالس الفت في العضد العفيف، ولم ينهضوا لنصرته وقد تعين الفرض الشريف، ، فطافوا في البلاد بلاعمةً مرجفين، سلولي العزم مثبطين، يعيدون سيرة ابن سلول في غزوة الأحزاب، ونطقوا بما بينته فيهم آي الكتاب، ولكنهم لفرط حرصهم آثروا التلميح، والفرارمن القول الصريح، وإن كان حالهم ينبؤك بحقيقة بواطنهم، وما يمليه أرباب مسامنهم، فقالوا مقالة النفاق الواضح، والإفك الفاضح "وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا" (الأحزاب: ١٢).

سابعاً/ حسدٌ مشئوم ظاهره سلامة الأحوال، وحقيقته تمني الزوال

لم تبتلَ الدعوات بمرض فتاك حالق، كابتلائها بداء الحسد في نفسٍ حانق، فهي بالداء ترتقي مرتقى الكَلَب العقور، لا برء يرتجى ولا سلامة في رفقةٍ تقلى أسباب الطَهور!!

لم تسلم من غارات إرجافه دعوة النبيين من قبل فكيف تسلم منه دعوة أتباعهم من المجاهدين، ولو جاءتهم بكل آية فصيحة صريحة كاشفة أصول الحق للسالكين.

للحق جلسوا على أهبة انقضاض، لم يدعوا أهله رغبة انفضاض، دفعهم الحسد لمعاداة الحق الصريح، فنابزوه باللفظ القبيح، نسبوا إليه قول الباطل استناداً للمظنون الموهوم، وتركوا صريح الحق المشاهد المعلوم، ولم يقصدوا في الحالين إلا النيل منه حسداً، حاشا أن يترك الحساد عادتهم أبداً !!

إن يصنعوا ذلك في أتباع الحق في زماننا على غربته، فليس ذلك بمستهجن على سليلي النفاق الأول وجوقته

قال الله تعالى " أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا " (النساء: ٥٤)، حسدوا النبي _ صلى الل عليه وسلم_ وأصحابه لعظم ما اجتباهم الله به، وقلبوا الأمور لينالوا منهم حسداً من عند أنفسهم أنهم لم يشرفوا باللحاق به.

ولم يكن ذنب المخلصين أجمعين، إلا محض اختيار رب العالمين، أن أقام في الصف نصرةً لدينه قوافل المجتبيْن، وجعلهم محل رسالته الشريفة فكانوا جنده المصطفيْن، وليس لهم في ذلك فضلٌ لأنفسهم منسوب، وإنما محض اختيار الله لهم فموفق ومحجوب، فثارت في الحساد غرائز الحسد السبُعية، فنالوا من أولياء الله على ضبعية.

على ثغر عسقلان خير الرباط بنص أحاديث السنة، أقام الله جنده من القسام فراغموا العدو مع تمام المنة، أحالوا وهم أمنهم سراباً، فغدت مستوطناتهم خراباً، انتصروا للنبي إذا نال منه الأوغاد، فحطموا كفره وقد جاسوا خلال البلاد، صمت العالم لهول الفداء الظاهر، وبطولات أبناء طوفان قاهر، ولم يسكت لذلك مرجف كذاب، قام حسداً يدفع الباب، ينال من المجاهدين بمريض الكلام، يقيم زرعه في الأرض الميتة

الكُلام، وللزوم الشغل الوظيفي لبسوا العمامة، وانتفخوا انتفاخ كلب يعشق القمامة، فحسدوا المجاهدين إذ لم ينالوا سعيهم المروم، فالقوم حسادٌ لهم وخصوم !!

قالوا: وهل يقيم الجهاد متأيرن أو متشيع سياسي؟؟ وجاءوا ببدع من القول على غير قياسِ

رفعوا لنصرة الشريعة لواءً إرجافياً، وتلفعوا بالحسد دثاراً إسفافياً، أرادوا رفع الملامة عن قعودهم البائن، فنصبوا للحق مقصلة الحسد الشائن، رموه بكل فرية صلعاء، وكذبات جلحاء، واتخذوا تشويه المجاهدين غرضاً، وليس شيء في لغة القوم يأتي عرضاً، هي إملاءات ضابط الإملاء، وآثار مال السحت والسخاء؛ فمن يطعم البطن يكسر العين، ويجبر القوم على القول الشين، وتلك سنة ماضية في الدعوات، وحاشا أن يغيرها المرجف الحسود وهيهات!!

إن أقواماً أكل الحسد حبات قلوبهم فتمنوا _حسداً_ زوال الفئة المجاهدة، طبيعي أن ترى منهم هذا التهافت على تشويه الحق بالفرى الزائدة!!

في دلائل النبوة: "فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد. فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها. فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت به. ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد. فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء. فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه. فقام عنه الأخنس بن شريق" (١)

وقد صدق الله العظيم "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (النمل: ١٤)، فالقوم لم ينكروا فرض الجهاد وقد تعين ولزم، لكنهم جحدوا به حسداً قبيحاً وقد تبين، لهذه الوظيفة قد تم اختيارهم وتقديمهم بعباءة العلماء، ليزدادوا رتبة بسمت ما يظهرون على العملاء، وإن كانوا في الغاية سواء، وفي المعرة شركاء، فلا تنتظر من سلفي يراقب منظومة الدولة لصياغة الموقف الشرعي، أن يقول الحق إلا كمن ينتظر عودة اللبن إلى حاشية الضرعِ.

قوم يتمنون زوالك لأنك تذكرهم بحقيقة وظيفتهم وعار انحيازهم، لن يتركوك وشأنك وسقوطك غاية إنجازهم.

سيظهرون تأسفاً على الدماء وحرصاً بارداً، ووراء تأسفهم قد بدا حقداً مارداً

فاستعذ بالله من شر الشياطين، ومن همزهم ونفثهم وأن يحضرون.

---

١ دلائل النبوة للبيهقي: (٢٠٦/٢)

ثامناً / قعود مهين ظاهره حكمةٌ سلفية وحقيقته هزيمة نفسية.

خرج النبي _صلى الله عليه وسلم_ لأحد وقعد المنافقون يتربصون، ونتيجة اللقاء ينتظرون، فلما وقعت في الصحابة الجروح، واستعرت فيهم القروح، وكان المنافقون يعتذرون من قبل " وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ "(آل عمران: ١٦٧)، صبغوا قعودهم لأرض النفاق إخلاداً، حكمةً ظاهرةً تهتف إرشاداً.

صعدوا بها مجالس التذاكي، كهرّ يصاول الأسد يحاكي؛ فاخترعوا ميزاناً يزاحمون به مسائل القدر؛ وقد صنعوا على عين الطغاة فجاءوا على قدر؛ يقولون مقالةً فظيعة، يؤصلون أصولاً شنيعة، يفتون في عضد المجاهد فتّ لئيم، يغذونه الإرجاف تغذية سقيم، لو أنكم قعدتم وتركتم الجهاد؛ لما نالكم الموت دون العباد؛ فكل قعود ولو تحت أحذية الطغاة نجاة، وفي الجهاد مهلكة للحرث وحياة، وزين لهم الشيطان مقالتهم الردية، فطاروا بها إرجافاً يتلمسون العطية، فوقع أجرهم على الطغاة مع العرفان، لكنهم لخسة طبعهم لم ينالوا شريف المكان!

أقروا بوجوب الجهاد في فلسطين المحتلة، ولم يعملوا لها فأتوا بالقواعد المختلة!

سنوا لأنفسهم سنة المرجفين في زمن مضى، فكانوا صورتهم والشرع بذاك قضى

قالوا للمجاهدين لو قعدتم ما مسكم الموت أبداً، ولعشتم زمناً طويلاً أمداً، فنطقوا بمنطوق النفاق، وفارقوا المؤمنين على شقاق !

في أمثالهم جاء القرآن مبيناً، فاسمع قول ربنا وتبيّنا، قال الله "الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ "(آل عمران:١٦٨)، قعدوا يتلفعون الحكمة السلفية، وفي ثنايا خلجاتهم الهزيمة النفسية.

وربما كان في قعودهم خير كبير، ونفي لشر عظيم مستطير، فالقوم سابحون في ردغة الخبال، سادرون في النفاق حد الخيال، يبغون فتنة المجاهد طمعاً في صده عن الجهاد، ولزوم جوقة النفاق والإرجاف والإفساد.

فيهم نزل قوله تعالى يحمل وصفاً يقصم الجبالا، "لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا"(التوبة:٤٧)، وقد أحسن من قال: قد خلق الله للمعارك رجالاً، ورجالاً لقصعة وثريد !

تاسعاً/ تشبثٌ بالوهن ظاهره تأصيلات صائبة، وحقيقته أعذار كاذبة

هل رأيت في الدنيا تأصيلاً يظهر فيه المرء ضعفاً مخزياً، ليفر من فضيلة ربانية جاءت تحمل أجراً مجزياً ؟! تلك عادة قديمة في المرجفين، وسجية مستقرة في المخذلين!

دعوا بين يدي النبي _صلى الله عليه وسلم_ للجهاد في زمرة الغزاة، فاعتذروا اعتذاراً قبيحاً ما أخزاه.

ساقوه على قواعد من التأصيل كأنه إيماني، وفي حقيقته فتحٌ شيطاني؛ قالوا: في الجهاد تعرض لفتنة النساء، وإنّا لا نطيقها وإن كانت مع فرض بذل الدماء، فطلبوا من النبي _صلى الله عليه وسلم_ الإذن بالقعود، وهناً على قاعدة من الاعتذار الكذوب والجُحود، فقال الله فيهم قولاً كاشفاً، حقيقة نفاقهم ومآلاً ناسفاً "وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ " (التوبة:٤٩).

هذه مشارع الأشواق إلى أرض العشاق، قد فتحت لها بوابة طوفان الأقصى، وهمهمت له خيول نخبتنا في اليوم الأقسى، وهتف قائدهم العام في الناس أن أقبلوا، ليوم عزكم وخلاصكم وفرضكم فتقدموا وأجلبوا؛ فقام في الناس مشايخ الإرجاف معتذرين، لفتنة خطيرة أعظم من فتنة القعود عن جهاد الكافرين!

قالوا: نخشى فتنة أن نشارك جهاداً للروافض فيه سهم واضح، فأتوا تأصيلاً كاذباً بالنفاق والخور فاضح.

ولم تكن سوى تعليمات الأمير والرئيس والضابط، ليبقى لجام الشيوخ بالإيقاع ضابط، انتفاضة جيل يتطلع لفريضة الرجال، وقد تعينت أحكامها في الحال، فأراد الإرجاف ذو الطابع السلفي، أن يقعد الجيل عن الجهاد ويفي، لولي النعمة بالولاء الأرضي على حساب التوحيد، وما يبديء الباطل وما يعيد !

ولذات الغاية كتب الأسافل، يرضون جوقة الأراذل، قالوا: فتنة يعلمها العالم إذ أقبلت من بعيد، فولي الخمر ذو رأي سديد، وقد رأى أن القسام واجب اجتثاثه من الأرض، والفتنة في مخالفة ولي الخمر فاتباعه الفرض.

يا أمةً سخرمن تقلبها في النفاق جيل يرى ويعي، وهو للعهد الحقيق مرابط وله يفي؛ وإن حاولتم إطالة أمد انطلاقته فهي آتية لا محالة، ولن ينفعكم قبيح اعتذار في أوحال السفالة!!

اربعوا عن أنفسكم فقد تعتذرون اليوم اعتذار طالب الفرار، وقبلتم القعود في حمأة الطغاة فبئس القرار، لكننا وإياكم في غير ذات الطريق فاشهدوا، وأقيموا لله إجابة لا ينفع معها اعتذار كاذب يجحدُ.

عاشراً/ خورٌ مسيطر ظاهره فهم عميق، وحقيقته إرجافٌ على الحقيق.

وقعت الجراح في ساح الصحابة يوم أحد، ووصل أذاها النبي _صلى الله عليه وسلم_ فلم ينجُ أحد، وذكر الله _تعالى_ حال الصحابة في الكتاب المبين، ليقف المجاهد على حقيقة فريقين ويستبين، أولهما: مجاهد في الصف عن رسول الله لم يتخلف، وثانيهما: منافق في غير الصف عن رسول الله قد تخلف، فقال الله "وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ" (آل عمران:١٦٦)، ليعلم المؤمن المجاهد الباذل روحه

فداءً لدعوته، القائم على أمر الدين باذلاً نفيس مهجته، في أول الصف لا يتخلف عن النداء، في مقدم الزحف بنقي الولاء، لا يأبه بالأهوال إن كانت في طريق الجهاد، لا يلتفت للأواء الطريق صبراً على مر الجلاد، يطمع أن ينال بصبره عظيم الفضل مع حسن نية، لا تشوبها شوائب الأرضيين الدنية، فكانوا للجيل من بعد أئمة هداية، بميزانهم يدرك السالك أئمة الإرجاف والغواية، فلا يتخلف عن النداء وقد وجب إلا منافق معلوم، ولا ينال من الجهاد وأهله المرابطين إلا محروم مذءوم!

فما حجة القوم وقد أُشرعت للجهاد أبواب التجنيد، وقام له فتية الإيمان في القطاع العنيد، وقد ساموا عدوهم سوء العذاب والكل رأى، بأس الأباة من جيل الإيمان وقد علا، يلتفتون خلفهم ينتظرون العالِم في صورة ابن تيمية والعز بن عبد السلام، أو ريان الإباء وأحمد الإمام، فلم يروا في صف النصرة عالماً كان في الناس إماماً، بل على العكس رأوهم صفوفاً في حمأة الإرجاف خداماً، فمطالب المجاهدين بالاستسلام للغزاة، والعيش أذلاء تحت أحذية الطغاة، وقد كنا نعلم من قبل أن ديننا دين عز وإباء، ولسنا ندري أذلة قومنا والعلم كيف جاء؟!

لم تكن حجتهم يومئذٍ إلا اعتذار مرجف خصي، وتلك حجة أقوام من قبل مردوا على النفاق الخسي.

لو كنا نعلم أنكم تخوضون قتال تحرير الأقصى، وتشدون الرحال فكاكاً للأسرى، وأنكم ستنالون ممن تعدى على مقام النبوة جهاراً، وتكسرون قرن الصهيوني فخاراً، لاتبعناكم دون إحجام، ولرأيتم بأسنا والإقدام، وقد صدق فيهم قول ربنا الكبير المتعال، وهو يصف حال نفاق أشباه الرجال، ويجليهم للمجاهد حتى يأخذ حذره الشديد، فيقلى طرق الإرجاف وكل قاعد مريد، فقال الله "وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ" (آل عمران:١٦٧).

المبحث الثالث

عواصم الثبات من قواصم إرجاف الإمعات

قد كنا نسمع من قبل حديث العلماء عن النفاق وخطره، ووجوب الحذر من طرقه وخططه، وما كنا ندرك خطير ما بينه الأكابر، حتى وقعنا على جنسهم وإرجافهم السافر، فلزم الاستنفار لهم استنفار المجاهد للغزاة الصائلين، وإجلاب السراق المفسدين المارقين، فالسارق إن سرق ما في جيوب الناس على غفلة حال، فالمرجف يسرق عزيمة القلب بتقعيدِ خوارٍ ضال !!؛ ولستُ مبالغاً إن قلتُ قولاً صحيحاً، ورفعت بجهاده صوتاً صريحاً: بل هو بالاستنفار الدافع أوجب، وبقطع يمين خوره أصوب.

ولذلك طرق معلومة مشهودة، مضى بها سلفنا فكانت من مآثرهم المعدودة:

أولاً/ الاستنفار لصد غارات الإرجاف، بجهاد البيان، وبيان ضعف حججه وهشاشة لَجَجه.

قضى الله وقدر أن دعوات الباطل تحمل بذور فنائها في ذاتها، وأن حجج دحضها وإماتتها ونسف ضلالها هي ذاتها!!

فمن أين سيصبر الإرجاف على باطل مراهق، وقدره وعد ربنا "بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ" (الأنبياء: ١٨)، إمام المرجفين وقبلة المخذلين، يعظ بنيه من المنافقين، وقد تجهز الفريق لملاقاة المجاهدين في بدر الكبرى، في أول معركة يقابل بها المجاهدون الغزاة صبراً، يعظهم موعظة واثق يتكل على نفس خاوية، وقد جفاها الإيمان فغدت بالإرجاف راوية، لن تغلبوا اليوم من قلة وإني لكم جار، فأقبلوا على زهوٍ يستشرفون وعد إبليس لا فرار، فلما تراءى الجمعان نكص وله ضراط، أذانٌ بانكسار حججه وانفراط !!

لم يشاهدوه وهو الكبير المشير، وقد أوردهم قدراً الأمر المبير، ولا عجب أن يولي مكسوراً، مذءوماً منهزماً مدحوراً، فيه وفي أمثاله جاء البيان، في محكم التنزيل من آي القرآن

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (الأنفال: ٤٨).

ولما كانت جينات الإرجاف لا تعالج بغير التقوى أو العصا، لم تغير الوقائع المشاهدة في نفس خوار قدعصى، لم يروا عظيم ما يمن الله به على أوليائه فتحاً عظيماً، حتى طغت على قلوبهم غمامة الإنكار فأتوا قولاً سقيماً، قال الله "إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (الأنفال: ٤٩)

هذي النماذج لا يلتفت لها ولا يعتد بتخلفها عن الجهاد المشهود، فالحق يأبى أن يسير في ركابه مرجف مطرود، ولولا فريضة النزال، لزاحم المنافق الرجال، فارفع رأسك وتأمل عظيم المقام الذي أقامك الله، ولا تلتفت أو تتردد أو تنتمي إلاه.

ثانياً/ التحذير من المرجفين الأغرار، والتسلط عليهم بعصا السنوار.

قال علماؤنا _عليهم الرحمة_ قديماً قولاً عالي البنيان، لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان.

فليس للإرجاف في زمننا إلا بيان الشدة، وعصا السنوار مع غلظة وحدة، هذه سنة الهدى في أمثالهم، وطريق الرشاد في أضرابهم، فلا يجالسون ولا يسمع لهم قول، ولا يترك لهم حول، يطاردون في كل مجلس ونادي، ولا يخلي بينهم وبين العباد، فشرّ المجالس مجالس يصدُّ فيها عن المجاهدين، ويخذل فيها عن أولياء الله المرابطين، ومن قُدر عليه فبالعصا حتى يترك مقالة الإرجاف، وسيء الطباع وقد علاها نفاق وإسفاف، فهم قوم ملعونون أينما نزلوا، ملعونون أينما ارتحلوا، قال الله فيهم "مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً" (الأحزاب: ٦١) ، قد جعل الله لأوليائه عليهم سبيل تسلط بالعصا، ضرباً بيمين التأديب على كل منتجبر وعصى فقال الله تعالى "لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً" (الأحزاب: ٦٠)، فاضرب رؤوس قوم قد ملأها الإرجاف تعالياً مذموماً، وأرح منها شراً عبوساً مشؤوماً، فالقوم لا تؤدبهم غير عصا الاحتساب، وتلك سنة ماضية في أقرانهم والأصحاب، اضرب فلا عاش شانئوك، ولا حيي مبغضوك، فالطريق طويل قد أشرعت له أشرعة القيامة، وبدهي أن يهاجموك الأرضيون راغبو السلامة، وسترى الأصول السلفية في أيديهم مطوّعة، لخدمة أغراض أرضية منوّعة، فلا ترحم فيهم قولاً مفترىً، ولا رأساً اشرأب وانبرى، فالشيطان قد عمر الرؤوس، وفعل فيها فعل ضرب الكؤوس، فأحل سكرتهم حياة إن أطاعوا، أو أمت فيهم إرجافا متنامياً إن فرطوا وباعوا.

ثالثاً/ حسن الظن بالله واستشعار معيته والثقة بوعده.

وليس للمجاهد في سبيل الله _تعالى_ زادٌ أعظم من زاد الثقة بوعد الله بالنصر الأكيد، وحسن ظن بالله وإن تجبر المجرم العنيد، واستشعار معية الإله عند منازلة الكفار ترفعاً عن دنيا العبيد.

في زمن النبوة المبارك الكريم، ثارت للإرجاف غارات النفاق اللئيم، طافت تتجول في ساح الصحابة الأماجد، تفت في العضد الشريف وللدين تحادد، قالوا: إن الناس قد أتوكم بكل مد، وجند يحاربكم من غير حد، ولا طاقة لكم بقتال الناس، وجند عظيم الباس، فأجمعوا أمركم للاستسلام على عجل، وسلموا سلاحكم ودعوتكم بلا وجل، فالموت يدور حولكم يترقب أذان الهجوم، قصفاً ودماراً وخراباً على وقع الرجوم، وما أنتم في الناس إلا قلة ضعيفة، والثبات أمام الكفر أوهام سخيفة!

فعلا المؤمنون بإيمانهم وحسن ظنهم بالله العظيم، ورموا قواعد الإرجاف بيقين الوعد الأزلي ومعية العزيز الحكيم، ففوضوا أمرهم لله استسلاماً رافعاً، ويقيناً بوعد ثابت دافعاً، فقص الكتاب قصة ثباتهم درساً في جيل الفتح، بآيات مبينات ظاهرةٍ في الصدح، فانقلبوا ليقينهم بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء أبداً، وغارت في نفوس المرجفين حمأة النفاق وقد بدا، "الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ" (آل عمران:١-١٧٣-١٧٤)،

واليوم نعيش أحزاب طوفان الأقصى، وتكالب العالم في عدوانه الأقسى، والناس فيه صابرون يرجون نصراً، وعدوهم بعلوّه القدري يحفر له قبراً، فيرى المجاهد الحقيقة رأي عين، ويردد المنافقون في الناس قول شين، وبينهما سنن لن تجد لها تبديلاً، وحقائق شرعية لن تجد عنها تحويلاً، ولن يكون في ملك الله إلا ما أراد الله، ومن كان الله معه فمن عليه.

وأجمل القول وأعظم السنا، قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا (التوبة:٥١)، فقم للدين قيامة مجد أبيّ، وخلّ عنك كل قول خسي، فمَن لم ير عظيم جهادك والأثر، فمحروم يكذب يقين النبأ والخبر، ويد الله في الجهاد الغزي ظاهرة، ولعدوهم العتل الزنيم قاهرة، فمن كان يصدق أن تجابه الطائفة المنصورة هذه الآلة الدولية ومن خلفها جيوش دول عظمى، وتثبت للجهاد بيقين النصر والثقة بوعد الله بالغاية الأسمى، فتنازل العدو منازلة أباة لا يترددون في بذل النفوس شهادة، إقبالاً للمعالي طمعاً في جنة ربهم وزيادة، فكانوا في الناس قبلةً في الفداء، منبراً في ساح الإباء، يصدق فعلُهم قولاً مخضباً، بالدم الزكي غدامضبباً، نحن الذين بايعوا محمداً، على الجهاد ما بقينا أبداً.

فكانوا بحق درة تاج الطائفة المنصورة، التي جاءت بها _تشريفاً_ الأحاديث المأثورة " لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لايضرهم من خذلهم، ولامن خالفهم، حتى يأتي أمرالله وهم كذلك، قالوا: أين هم يا رسول الله، قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس" (١)

رابعاً/ الامتناع من السماع لهم

حذر الله تعالى المؤمنين من الالتفات لمقالات الإرجاف أو الإصغاء، والبعد عنهم وعنها طلباً للسلامة من الأدواء، فالسلامة لا يعدلها شيء مطلقاً، والسلامة ههنا: تجنب مصاحبة مرجف بالإثم تحققا، فالقوم أشربوا في قلوبهم حب القعود أزلاً، والإرجاف فيهم جاوز الطبع وقد اتخذ من دفقة دمهم نُزلاً، حتى غدا سجية فيهم غير منفك أبداً، ضباعٌ يقبلون على القلوب جمعاً لا بِدداً، غايتهم ألو جلس الناس كلهم فكانوا سواءً، فلا يعيرون بقبيح ما انطوت عليه نفوسهم خباءً، وقد دل الشرع والقدر أن الخبيث لا يطول خفاؤه، ولا يدوم عطاؤه، ودابره مقطوع وإن طال أمده، وستْره مكشوف وإن امتد مدده، وبيان حاله سابق قوافل المجاهدين والنفير، محذرٌ جموع المؤمنين شر الإرجاف الخطير، منبه إياهم عظيم وبالهم، منوهٌ الصفوة خبيث خبالهم، فقال الله قولاً فصلاً، جاء في التوبة ليس هزلاً، "وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ(46) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ" (التوبة: ٤٦-٤٧).

فالقوم لا يجالسوا ولا يصحبوا في غزو أو منازل علا، فهم بالإرجاف قد تحللوا من عقيدة البراء والولا، فلم يثبتوا ثبات راجي النجاة والرشد، وانقلبوا على أعقابهم لداعي الشر فيهم والحس، فلم يزالوا بقبيح ما حملوا خزاة، يطوفون ذلة حول قبلة الطغاة، فما ازدادوا بذلك إلا ذلة وصغاراً، كمثل الحمار يحمل أسفارا، وأنتم عنهم في شغل لشريف والاجتباء، ورفيع الاختيار والاصطفاء، فامض ولا تلتفت لعظيم

١ مسند الإمام أحمد: (٦٥٧/٣٦) ح (٢٢٣١٩)

الغاية الشريفة، وخلّ عنك طرائق القوم السخيفة، فأنت في معسكر الإيمان خططت الرحال، وقمت لله قيامة الرجال، صدقاً لعهد مشهود، وطريق بالدما مورود، ولا يطيق مسالك الأباة موجوء، ولا مخذل بسرطان الإرجاف موبوء، قال الله العظيم الحكيم "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" (الأحزاب: ٢٣)

خامساً/ الصبر على لأواء الطريق والإيمان بقضاء الله وقدره.

لم يعط مجاهد في سبيل الله زاداً أعظم من الصبر، وقد جاءت بذلك السنن على بساط جليل القدْر، فالصابرون يوفون أجورهم بغير حساب، وقد جاءت البشرى في آي الكتاب، "إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" (الزمر: ١٠)، وطريق الدعوات محفوف بالشوك والابتلاء الرديف، وتلك ضريبة الأباة في الطريق الشريف، لم ينجُ منها نبي من الأنبياء، ولا مجاهد في زمرة الأتقياء، قال ابن القيم الجوزية كلاماً طرباً، فعش معه عيش خبير رغباً: "والطريق طريق تعب فيه آدم وناح لأجله نوح ورمي في النار الخليل وأضجع للذبح إسماعيل وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين ونشر بالمنشار زكريا وذبح السيد الحصور يحيى وقاسى الضر أيوب وزاد على المقدار بكاء داود وسار مع الوحش عيسى وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد" (١)، فالصبر في الدعوة زاد المجاهد، ورفيق الصدوق المجالِد، به يبلغ المجاهد مراتب التوكل مع اليقين، ومعه يسير واثقاً إلى حيث الأمامة في الدين، وبذا نطقت آيات الكتاب المبين، قال الله "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ" (السجدة: ٢٤)، "وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" (إبراهيم: ١٢)، لا يطلب لذلك أجراً إلا جنة عالية، فيها مراكب الصادقين دانية، لم يطمعوا بشيء من لعاعة دنيا فانية، في الحديث "يا رسولَ اللهِ، اشترِطْ لربِّك ولنفسِك ما شِئْتَ. فقال: أشترِطُ لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترِطُ لنفسي أن تَمْنعوني مما تمنعون منه أنفسَكم. قالوا: فما لنا إذا فعَلْنا ذلك؟ قال: الجنةُ" (٢)، لم يعدهم النبي _صلى الله عليه وسلم_ مغنماً أرضياً، وإنما جنةٌ يحيا بها المجاهد مرضياً، جنةٌ نظير بيعة موت ليس عنها رجوع، لا تردد فيها ولا يصاحبها خنوع، مضاءٌ على ظهور العاديات ضبحاً، المغيرات صبحاً، حتى تدين الدنيا بدين الإسلام، وتحطم في الأرض وفي النفوس الأصنام.

وهو كائن وإن شك المنهزمون، وغداً نعيشه واقعاً ولكن الناس يستعجلون.

لم تكن مجرد أماني وأحلام، وإنما بشرى دعوة الإسلام، وهي نائلة كل سائر على درب الهدى من غير تبديل، ثابتٍ على أمر الدين والجهاد من غير تحويل، في حديث خباب غنية عن الكلام، رسالة البشرى على حد الكِلام، عن خباب بن الأرت قال: "شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا

---

١ الفوائد: ٤٢

٢ فتح الباري لابن حجر العسقلاني: (٤/٦)

تدعولنا؟ فقال: قدكان من قبلكم، يؤخذ الرجل فيحفرله في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشارفيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه ظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسيرالراكب من صنعاء إلى حضرموت، لايخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون "(١)، نستعجل فرجاً له موعد محتوم، وقهراً لشرٍّ قُضي ألا يدوم.

ستمضي الدعوة إلى قدرها بالنصر وإن حاربتها جموع الكافرين، ذلك أمر ربنا ولن تجد عنه حولاً في العالمين، فمن الذي سيمنع قدراً كتبه الله على أوليائه، وجعله ثابتاً شاهداً على هزيمة الكفر وفنائه، قال الله "كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ " (المجادلة:٢١)، فاستمسك بسيف الجهاد ولا تحد عنه رهباً، فأنت مؤيد منصور والنصر آتيك رغباً، ولكنها سنة التمحيص هكذا أبداً، والناس فيها طرائق قدداً، موفق مهديٌّ معان، ومرجف في حمأة الذل يُهان.

ولا تجزع لعظيم الفقد فتلك ضريبة الخلاص، وعلامة الصدق الطريق ما منها مناص، ولو خلت منها مسيرة دعوة نبوية، لحظيت دعوة النبي _صلى الله عليه وسلم_ بتلك المزيّة، لكنها سنة ملازمة جاءت على قدر، وهي جزء الإيمان بالقضاء والقدر، فما أصاب من كرب في مسيرة الاستجابة لداعي القتال، فمكتوب مقدرٌ مصيبك على كل حال، وليس ذلك بضارك في السير الميمون، ومآل الطريق المضمون، فامش مطمئناً عزيزًا بين الناس، واحفظ وصية النبي _صلى الله عليه وسلم_ لابن عباس، "قال: كنت خلف رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ يوماً، فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"(٢)، وردد قول ربنا وعش معه عيش أمان مؤمناً "قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ" (التوبة:٥١).

والحمد لله رب العالمين

وكتبه/ د. نائل بن غازي

---

١ صحيح البخاري: (٢٠/٩) ح(٦٩٤٣)، (٢٠١/٤) ح(٣٦١٢)

٢ سنن الترمذي: (٤٨٩/٤) ح(٢٦٨٥)

المصادروالمراجع

١. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور

٢. الجامع لأحكام القرآن

٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن

٤. الشرح الكبير وحاشية الدسوقي

٥. العين للفراهيدي

٦. الفتاوى الكبرى لابن تيمية

٧. الفوائد

٨. الكليات معجم في المصطلحات

٩. المحلى

١٠. المغني

١١. المفردات في غريب القرآن

١٢. الهداية مع البناية شرح الهداية

١٣. دلائل النبوة

١٤. سنن أبي داوود

١٥. سنن الترمذي

١٦. سنن النسائي

١٧. صحيح البخاري

١٨. صحيح السيرة النبوية

١٩. فتح الباري

٢٠. في ظلال القرآن

٢١. لسان العرب

٢٢. مجموع الفتاوى

٢٣. مختصر الخرقي

٢٤. مسند أحمد

٢٥. معجم لغة الفقهاء

٢٦. مغني المحتاج

الفهرس

العنوان	الصفحة
مقدمة	٣
المبحث الأول: الإرجاف والمصطلحات ذات الصلة	٥
تعريف الإرجاف لغة واصطلاحاً	٥
المصطلحات ذات الصلة	٦
التخذيل لغة واصطلاحاً	٦
التعويق لغةً واصطلاحاً	٦
المبحث الثاني: طوفان الأقصى والإرجاف السلفي	٨
طوفان الأقصى ضرورة شرعية، وحاجة بشرية	٨
خارطة الإرجاف	١٤
الإرجاف السلفي أصول وشواهد	١٤
جهـاد في عباءة طاغية	١٤
مشرحة الإرجاف ومقصلة الإنصاف	١٧
تثاقل إلى الأرض ظاهره الرسوخ؛ وحقيقته تشويه الحق	١٩
هالة الموت وحقيقة الإخلاد	٢١
إسقاط مقصود وكذب معهود	٢٣
يقين مهزوز ظاهره الحرص، وحقيقته الوهن والخَرص	٢٤
حسدٌ مشئوم ظاهره سلامة الأحوال؛ وحقيقته تمني الزوال	٢٥
قعود مهين ظاهره حكمة سلفية؛ وحقيقته هزيمة نفسية	٢٧
تشبث بالوهن ظاهره تأصيلات صائبة؛ وحقيقته أعذار كاذبة	٢٨
خور مسيطر ظاهره فهم عميق؛ وحقيقته إرجاف على الحقيق	٢٩
المبحث الثالث: عواصم الثبات من قواصم إرجاف الإمعات	٣٠
الاستنفار لصد الإرجاف بجهاد البيان وبيان ضعف حججه، وهشاشة لَجَجَه	٣٠
التحذير من المرجفين الأغرار، والتسلط عليهم بعصا السنوار	٣١
حسن الظن بالله، واستشعار معيته، والثقة بوعد	٣١
الامتناع من السماع لهم	٣٢
الصبر على لأواء الطريق، والإيمان بقضاء الله وقدره	٣٣
المصادر والمراجع	٣٥
الفهرس	٣٧